الشهيد القائد اللواء ركن جواس صاحب المواقف الشجاعة والمشرفة

القائد الاستثنائي الذي لم ولن يتكرر

فكرتُ كثيرًا قبل أن أمسك القلم، ونظـــرت طويـــلا في الصفحات الخالية أمامي متسائلاً: ماذا عساي أن أكتب؟ وأي المفـــردات يمكن أن توفي مما يفيض بـــه صدري من حسن المشاعر وصدق الأحاسيس وأن أصف ما لا أستطيع أن أرصده من المواقف الشـــجاعة والمشرفة؟ وهل أستطيع أن أفيَه حقه ببضع صفحات مهما ازدحمـــت ببلاغة المعاني أو قـــوة التعابير في تعدد مناقب الشهيد البطل القائد اللواء ثابـــت مثنـــى جواس بعـــد رحلة عطائه الســـخي الذي انقطع فجأة في عملية إرهابيـــة غادرة جبانة، وتوقـــف نبض الحيـــاة في روحه القيادية ووداعة خلقه؟

نعم ترددت لا لشيء، بل لإدراكي أن ما ستفيض به مشاعري الحزينة عند الكتابة لا ولـــن يبلغ الرضى؛ لأن صفحات وســـلوك وأخلاقيات الشهيد أعظم وأســـمى من كل ما يكتب.

وبينما كانت نظراتي تنتقل بين القلم والصفحات المســـجاة أمامي تجول بين ابتسامات الشهيد القائد وحركته الدؤوبة ونشاطه المتواصل وحنكته القيادية منذ تعرفت عليه وعملنـــا مع بعض كرفاق ســـلاح في عام ١٩٨٠ م في لواء الشـــهيد باصهيـــب، حيـــث كان قائد كتيبة المشاة ٣٢ في اللواء وأنا ركن اتصال اللواء، وفي عام ١٩٨٦م عين قائدًا للواء الشـــهيد باصهيب ميكا، وفي نهاية العام غادرت اللواء للدراســـة الأكاديمية وشاءت الأقدار أن نلتقي مجددا في عـــام ٢٠٠٤م، حيث تم تعيينـــه قائدًا للواء ١٥ مشـــاة في صعدة، حيث تم تعييني معه مديراً لمكتبه وعملنا مع بعض، هو القائد وأنا مدير مكتب القائد، وخاض هذا اللواء كل حروب صعـــدة بقيادته وحقـــق الانتصـــارات وقضى على رأس الفتنة في جبال مران، وصار القائد أشهر من نار على علم كقائد ميداني محنك يصنع الانتصار ولم يهزم.

بعد التنقل بـــين هذه الذكريات وكل المواقف التي جمعتني بالشهيد القائد جواس اتفقت على خيارين لا ثالث لهما: إما أن أمسك القلم بيد ثابتة، أو أن أتجنبه خوف الارتعاش، وفضّلت الخيار الأول مستندا الثبات من روح الشـــهيد البطل الطاهرة، وأعترف ســـلفا أني لا أستطيع أن أفيه حقه مهما سطر قلمي وأبدع.

لقد فقدنا قائدا شـــجاعاً ثابتاً قائداً ميدانياً صلبًا يعتبر مدرسة في فن القيادة والســـيطرة العسكرية، فقدنا الشهيد القائد المليء بالمشاعر الإنســـانية، فقدنـــا رفيقاً يتســـم بالمبادئ والتواضع والاســـتقامة، فقدنا قائـــدا ورجلا مـــن الرجال الأوفياء، فقدنا أخا وصديقا عزيزا وغاليا نحـــن في أمسّ الحاجة إليه ولأمثاله في زمن انتشار قوس قزح.

لم يرحل الشهيد البطل وهو غير قادر على العطاء، بل رحل وهو في قمة العطاء، في عمليه إرهابية غادرة جبانة، فلا نامت أعين الجبناء التي غدرت برمز من رموز الذئاب الحمر الردفانية، لقد استشـــهد وهـــو يختزن طاقة هائلة وشحنًا كبيرًا من النشاط والحيوية والطموح والتجارب الغنيـــة والخبرات العسكرية المتراكمة، وسجلاً حافلا بالانتصارات والمواقف البطوليـــة، قائدًا عســـكريًا اســـتثنائيًا محترفـــا يحمل هم وطمـــوح وغايات وطنه وشعبه العظيم.

لقـــد كان للابتســـامة عند الشـــهيد القائـــد معنى، وللغضب مبرراً، الابتســـامة ليست للاســـتهزاء، والغضب لا يـــضر ولا يـــسيء لأحد، كانت الابتســـامة في حياته دليل الرضى، والغضب دعوة للعدول عـــن الأخطاء، حقا كان الشـــهيد قبساً من نور ونار، ولم يقع يوماً في دائرة الندم لأنـــه كان يؤمـــن أن كل خطوات حياتـــه مرحلة طويلـــة متصلة لا ينتقـــل فيها من طـــور إلى آخر ما لم تتكلـــل بالنجاح والنصر، بل كان عنـــده الزمن ثمـــن وللتاريخ نوافذ يطل منها على الغد.

وهكـــذا تزاحمت في ذاته الحلم والرغبـــة الجامحـــة في تحقيـــق النجاحات والانتصارات عبر المسالك المشروعة التي تحفظ أمن وسلامة والوطن وعزة وكرامة المواطن. وفي ظروف الإحباط أو ما يشبه التراجع تجد الشهيد القائد يتصرف بشعور الواثـــق، مؤمنا بتحـــرك الظروف وزوال الإحباط، كـــون الحياة في قاموس هذا القائد الإنسان لا تقبل التجمد والتخبط، وفي شخصية هذا القائد ثوابـــت لا تخترقها العوارض التي تظهـــر في محيطه بين حين وآخر.

كتب العميد ركن/ قاسم صالح الجهوري:

لقد كان عالم الشهيد القائد هو الوطن، كل الوطن، وكان يشـــكل فيه عالما صغيرا داخـــل هذا العالم الواسع يحمل في داخله السفر ويعمل باتجاهه ويقيس الزمن فيـــما قطعه في رحلـــة اليوم اقترابا من الغد بعلاماته البارزة التي تكشف ملامح المستقبل، حقا كان الشهيد القائد يدرس كل المواقـــف ويقـــدر الموقف تقديرا دقيقـــا في كل المواقف العسكرية التي عاشها ويتخذ القرار الشـــجاع والجريء في خوض عمليـــات القتال، وكان النجاح والنـــصر حليفه دائماً لأنه دائمـــاً يتقـــدم الصفوف ويتمتع بموهبة فنون القيادة والســـيطرة وتلمـــس هموم المقاتلين.

كان الشـــهيد القائد يمتلك قدرة على تحمل الهم ومواجهة المصاعـــب ولا يستســـلم لها، بـــل كان يتقـــدم إليها بخطى الواثق لأنـــه يدرك أن اقتحامها يتطلب الشجاعة والإقدام ومن يمتك مثل هذه الصفات لا ولن يجانبه النصر.

لقد ودعنا شهيدنا البطل القائد جواس وهو يختزن بداخله مشروعًا كان الوطن بحاجتـــه، ولكن حكم الله في خلقه لا مرد له، رغم مرارة عملية الغـــدر والإرهاب التي أودت بحياته مع مرافقيـــه، وعزاؤنا أن بصمات الشهيد الخالد القائد اللواء ثابت مثنى جواس وسجله النضالي وســـيرة حياتـــه العطرة ســـتظل يختزنها كل من ارتبـــط به واحتك به وعمـــل معه أو عايش طموحاته للدفع نحو تحقيـــق الأهداف التي أفنى حياته من أجلها في وطن حر وشعب ســـعيد لن يترددوا في حمل رسالته لمواصلة مشواره النضالي، مزوديـــن بخبرتـــه وزاد ســـلوكه وأخلاقـــه النبيلة وســـيرته العطرة وصفاته الحميدة وقـــوة وصلابة شكيمته وشـــجاعته وإقدامه على اقتحام الدروب والمســـالك الوعرة للوصول إلى الهدف والى ســـهول الحياة المزدهرة الآمنة والمســـتقرة لخير الوطن والشعب.

باستشهاد القائد اللواء جواس فقد الوطن وقواته المســـلحة قائدا عســـكرياً ميدانياً مجربا لا تنقصه الحنكـــة والشـــجاعة والإقدام ولا تخونه البديهية.

لك الخلود رفيقـــي القائد، وثق أن المشـــعل الذي أنرت بـــه الدروب المظلمة لن ينطفئ فحملة المشاعل توارى جثامينهـــم الثرى إلا أن نور مشاعلهم لا يتوارى أبدًا.

نم أيها الشهيد الخالد فينا أبدا، نم قرير العين، وتوسد يمناك، وأرح جســـدك الطاهر العاطر، فالوطن بإذن اللـــه بخير، فمـــن أمثالك لا يموتون أبدا بل خالدون في ضمائر كل شرفـــاء الوطـــن بتاريخهـــم وسيرتهم العطرة.